

### في تحشيم ذكرة الشعوب

**بقلم: د. نسيم الخوري**

يصعب فهم البرودة في سلوك أجيالنا الشابة حيال مشاهد العنف التي تملأ المكان العربي.

لن أقدم النعوت السلبية لهذه «الثقافة» الجديدة المستوردة المستغرقة في اللامبالاة.

يندو وكنانا في عصر الانقياد للتألف والقبول الراضخ والناعم لتلك المشاهد إلى حدود إفراغ الموت والحروب المقيمة عندنا أو المحيطة بنا من البشاعات والمضامين القاسية المؤلمة تاريخياً.

هي تحولات هائلة تجزها لبنا ثقافة دقق الصور الحقيقية الحية في عنفها التي تدو وكأنها نسخة طبق الأصل للمشاهد السينمائية المقيمة في كبت الخرجين وخيالهم، كيف؟

بدأت المسألة فعلياً في العراق (2003) إذ اعتبرت الحرب الأبيركية عليها الأولى في العالم بعد ثورة الاتصالات التي حققت قفزات تكنولوجية ضخمة اجتاحت العالم.

تحولت وسائل الإعلام بتأثيراتها اسلحة ممهدة وموازية للسلاح النووي والحروب الإلكترونية والتكنو اقتصادية في أوجها المختلفة.

وبفضل هذه المنجزات بدأ الراي العام العالمي وكأنه مشدود بشعره إلى التحديق الدائم في المعارك والتعود على وطائها ومشاهدتها بالتزامن مع تطبيقات الحروب والألعاب في الشاشات التجارية المختلفة.

لقد دفعت كثرة الصور وضراوتها ونقاوتها وسرعتها إلى جعل المشاهد شريكاً فيها متقمصاً لأبطالها، وكأنه هو من يقتاتل أو يقترف الجرائم أو يبكي الضحايا أو يتعاطف مع الأبرياء... إنها الحرب الكاملة في عين الدنيا.

غاب المتلقي الذي كان العنصر الأول للعملية الإعلامية إلى جانب المرسل والرسالة ليسقط دفعة واحدة في تنشيطات الزواج بصفته رسلاً جديداً ومالك رسالة وأفعال وردود أفعال تدعمه منظومة الإنترنت المتحررة فعلياً من أية رقابة بقدر ما هي معرض موسوعي مفتوح للصور والخيالات التي يتناقلها ويتبادلها جمهور العالم.

يمكن القول في فرضية أولى: إن تبديلاً فكك استراتيجيات الحروب ومفاهيمها العامة المعروفة، عندما تخطت الحروب الجديدة «الرقمية» المكان والميدان لتبدو حروبا بالصوت والصورة لها وقعها المباشر في نسيج حركة الاستقطاب العالمي ودورها في تبديل التحالفات أو اتخاذ القرارات وتعديلها وفقاً لما تبته الشاشات.

ويمكن القول ثانياً: إن العرب انخرطوا في الحربين العسكرية والإعلامية محققين بذلك أول اختراق ملحوظ في صلاية الجدار الإعلامي الغربي والإسرائيلي، والذي أسس على مدى العقود السابقة لعقمة العرب الفعلية في هزائهم المتتالية، حيث كانت الحجة ثابتة وصلبة وتستخدمها الأنظمة لتبرير عدم إيصال صوت العرب إلى العالم.

للمرة الأولى في تاريخ الصراعات العربية الداخلية والخارجية، بدأ الإعلام العربي حاضراً بالصوت والصورة في تفاصيل المعارك وعلى مستوى معقول من المهنية والاحتراف.

وباتت الفضائيات العربية على مستوى الأحداث من حيث التغطية أو التعرية الفورية، إذ دخلت ملاعب الشاشة العالمية وساهمت في إبراز الصور والحقائق عندما لم تتمكن دوائر النفوذ العلمية من التقاطها أو عمدت إلى طمسها.

بالفعل، فرضت الشاشة العربية مشاهد المعارك والأسرى والجرحى والقتلى وشاهدها العالم معنا بأسره، ولم تولد ردود فعل فائقة الأهمية في التغيير الحزري.

هذه التجربة الفتية المغرية للإعلام العربي في المواجهة تعني العرب كلهم، ولا تقتصر جدواها أو انعكاساتها أياً تكن طبيعتها على العراق وحده أو سورية أو اليمن أو غيرها من البلدان العربية.

نطرح هذه التجربة في أهميتها الذي تشغله الصور في إستراتيجيات الحروب. يمكن نسيان الحروب لكن الصور تبقى أدلة للتاريخ.

وعندما يلتقط المصور الشهيد مشهداً أو لحظة من المأساة، فهو يؤبد اللحظة التي تجعل العين لا تنسى، وتصبح الصورة «جوهرة» قابلة للإشعاع الدائم وحافزاً على الموقف والعقل والانزراط في الهوية لا في العصر الرقمي.

كانت الصورة أينة الغرب يصعب هضمها في الشرق، لكنها تحولت أحياناً إلى وسيلة للهجوم المعاكس. وتكاد تفرغ الصور اليوم من مضامينها بعدما هضم العرب مأسيمهم وخرائبهم وتشتتوا وكادوا ينسون حضارات الصور التي انبثقت أساساً من أرحامهم العبروغلغيفية والمسمارية لتطلق أول كتابة في التاريخ.

يتدفق الماضي في بلاد العرب، وتزول الفروقات بين حضارتي العين والأذن، ونشهد معاً ذوبان المسافات بين عين الغرب وعين الشرق، وتفقد العولمة وهجها حيث يقوى الملل والمراخ عمّا ينتظرنا بعد سقوط العولمة التحمي بعدما باتت تتراجع علاقة الصور الضوئية الملونة بالوقائع اليومية من حيث قدرتها على التأثير، وتفقد أهميتها الأولى بصفتها قبيلة رقمية تستغثر كل شيء.

لنعترف أن البومات الصور الإستراتيجية باتت قابلة للزوال من ذاكرات الشعوب لا الدول بما يهدد بانحدار الماضي.

من يؤرخ لأقمتها مسور العقد الماضي إذن تديليلاً على رصد التحولات في ذاكرات الدول العربية مثلاً؟ وكيف تخدم تلك الذاكرات في مخزونها وتجاربها منعة أجيالنا المقبلة؟ الجواب الجامعي: لا أحد لأن إدمان السباحة في «حضارة الاتصال» الوهمي الكثيف يرمي الإنسان المعاصر في الانقطاع والأمراض.

موضوعياً كان المفروض أن تكون القمة العربية التاسعة والعشرون في الظهران مركز الحدث والتغطية، والكتابة، ولكن لست أدري إن كان ذلك يستجيب لنداء عقل وقلب الكاتب، الذي لا يرى في هذه القمة، ما يشكل فارقاً مهماً بعد انعقادها عمّا قبل ذلك.

البيان والقرارات جرى تحضيرها كالعادة من قبل وزراء الخارجية العرب، وبالتالي لا داعي للخوض في الاستنتاجات والتوقعات، ولا أظن أن ثمة ما يستدعي الاستعجال في تحليل مزججات القمة، ومدى أهيتها في تغيير الواقع، خاصة بعدما عرف عن مثل هذه المحطات تاريخياً من تناقض بين الأقوال والأفعال، خصوصاً فيما يتصل بالعمل الجماعي.

ثمة قصور شديد في إدراك الزعماء العرب لما ومن يهدد مصالحهم سواء الوطنية أو القومية، ولا أظن أن ثمة ملفا واحداً يتفق عليه الزعماء عدا الملف الفلسطيني، الذي يسهل الاتفاق على معالجته نظرياً، وعند التنفيذ، تذهب القرارات في دهاليز السياسات القطرية.

في محاكمة المواقف العربية القطرية أو الجماعية، إزاء عدوان أميركي بريطاني فرنسي على دولة عربية مركزية مثل سورية، نفترض أن الحد الأدنى للموقف الموضوعي، هو الصمت، والحقيقة أن المطلوب أكثر من ذلك ولكن يدمي القلب أن نجد عديد الدول العربية، يؤيد ويدعم هذا العدوان، رغم معرفتهم بأنه يصب في مصلحة إسرائيل، وحلفائها الغربيين.

العدوان الذي يثير مخاوف إسرائيل، من ردود فعل

النظام السوري وحلفائه، دون المراهنة على دور أميركي قوي في مساندتها، هذا العدوان بدأ وكأنه مسرحية هزلية وفق كل المعايير، لعل حصيلة العدوان، تشير إلى أن الدافع لا يخرج عن سياق، تأكيد دور وحضور الولايات المتحدة، ومحاولة سخيطة لإنزال الرئيس ترامب عن أعلى الشجرة التي صعد إليها.

الولايات المتحدة تعلن أنها لم تستهدف إسقاط نظام الأسد، وأنها تتجنب الاحتكاك المباشر بالوجود الروسي، وأن الهدف منع سورية من استخدام الأسلحة الكيماوية ومعاقيبتها على ما تدعي أن النظام في سورية ارتكبه بحق شعبه في مدينة دوما.

الاتهام جاهز، ولا حاجة للولايات المتحدة وحلفائها، لانتظار نتائج التحقيق الذي وصل الجزء الأول من فريظه إلى سورية، وكان سيتبعه فريق ثان لكن العدوان استبق كل ذلك.

الآن عادت فرنسا لتتحدث عن أن مجلس الأمن سيتابع التحقيق في تهمة استخدام الكيماوي، وأنها بصدد تقديم مبادرات سياسية، مع أن هناك إقراراً أميركياً بريطانياً ملغناً، بأن العدوان لم يغير من طبيعة اللعبة السياسية.

تغيب اهتمام دول العدوان تماما، عن التحقيق في جرائم الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني، وهي جرائم مستمرة، عدا أن الملف طافح بالجرائم، أما حين يتعلق الأمر بسورية أو غيرها فإن هذه الدول تبدي حرصاً على القانون الدولي، وعلى حقوق الإنسان.

## هنا أرض الحضارات وهنا أرض المتغيرات

**بقلم: طلال عوكل**

متى شأئت مصالح هذه الدول، فإنها تقوم بممارسة العدوان باسم المجتمع الدولي، تماماً كما فعلت في العراق وأفغانستان وليبيا حيث تصرفت خارج إطار القانون الدولي، وخارج إطار قرارات الأمم المتحدة. واضح أن المسألة ليست مسألة قانون دولي، ولا مجتمع دولي، ولا علاقة لها بالحرص على حقوق الإنسان، بقدر علاقتها بالمصالح الأثانية، وبرؤية استعمارية لطريقة التعامل مع المتغيرات الدولية.

الرسالة الأساسية التي حملتها صواريخ "توما هوك" و"كروز" التي ضربت سورية صباح السبت الماضي، كانت موجهة لروسيا التي أثرت الانحناء أمام العاصفة مؤقتاً حتى لا يؤدي إلى مواجهة عسكرية واسعة، كانت التصريحات التي صدرت عن كل الأطراف قبل العدوان تنبئ بها.

في الواقع فإن الولايات المتحدة، تدافع عن مصالحها، والنظام العالمي السابق، الذي تسبّدت على قمته منذ أعلن ذلك الرئيس جورج بوش الأب العام 1991، بعد "حرب الخليج"، وتفكك الاتحاد السوفياتي قبل ذلك بسنتين. النظام العالمي يمر في مرحلة انتقالية، بين النظام أحادي القطبية الذي تنزعمه الولايات المتحدة، والنظام العالمي متعدد الأقطاب، الذي تتقدم فيه كل من الصين وروسيا للمزاحة والمنافسة على مصادر القوة والمصالح. خلال العقود الثلاثة المنصرمة، وفي غياب التهديد والأعداء المنافسين اخترعت الولايات المتحدة، الإزهاب عدا للبشرية، وتنتظت للدفاع عن البشرية في محاربة

## فكوا قيدهم

**بقلم: د. عاطف أبو سيف**

عاقبتنا نحن الطلقاء الذين نتمتع بنفاصيل حياتنا العادية ونتحرك رغم كل القيود التي قد تفرضها الحواجز والحدود، لكننا نتحرك وننتصرِف بعض الحرية فيما هناك الآلاف الذين قرروا طواعيةً أن يتنازلا عن حريتهم ويخاطروا بها ويعاملوا بحياتهم وبسني عمرهم التي باتوا يقضونها خلف الجدران وفي الترانزين من أجل أن تتمتع نحن بكل ذلك.

تضحية لا تضاهيها أي تضحية إلا تضحية الشهداء بأرواحهم، والأسرى ليسوا إلا شهداء مع وقف التنفيذ.

وهذا يتطلب جهوداً في مجال الإعلام الاجتماعي باللغات الخارجية خاصة اللغات الأكثر انتشاراً في العالم الإنجليزية والفرنسية والأسبانية.

يجب التعرف بقضية الأسرى بهذه اللغات، على العالم أن يعرف أن هناك أسرى فلسطينيين يمضون عقدهم الرابع خلف الجدران، وأنهم يتعرضون للعلل والتعذيب والتنكيل والمساس بحقوقهم المعيشية حتى داخل السجون في انتهاك واضح وصريح للقانون الدولي ولكرامة الإنسان.

كل ذلك يجب أن يتم بالتنسيق مع الجاليات الفلسطينية في الخارج وأيضاً الجاليات العربية بحيث تتكامل الجهود تجاه إبراز القضية بما يليق بها.

"فكوا قيدهم" يجب أن نترجم بلغات مختلفة ويتم الترجمة بلغات مختلفة، هذه فرصة لإعادة تسليط الضوء على معاناة أسرانا الأبطال.

الأسرى الذين غيروا معادلة الأسرى وقدموا لنا بجانب تضحياتهم درساً بالغة الأهمية في سبل هزيمة المحتل.

## عن العدوان الثلاثي على سورية

**بقلم: عبد الغني سلامة**

وألمانيا بالإضافة للسعودية والأردن. وطبعاً، مع إدانتنا الكاملة لهذا العدوان السافر، إلا أن هذه الضربة قد تضع جميع الأطراف أمام حقيقة أنه أن الأوان لحل الأزمة السورية، وأن عليهم البدء جدياً بوضع الفاطرة على سكة الانتقال السياسي...

وكل من راهن على أميركا والحلف الأطلسي لإسقاط النظام (كما حدث في ليبيا) خاب أمه، وخاب مسعاه.. ومن اعتقد أن أميركا تأتي لنصرة المعارضة الضعيفة، أو لجلب الديمقراطية، أو للتخلص من الأنظمة المستبدة، إنما هو غارق في الوهم.. وتكفي نشرة أخبار واحدة عما يحدث في العراق، لمعرفة إلى أي مدى هؤلاء غارقون في الوهم.. فأميركا ليست جمعية خيرية، بل إنها، كما ثبت على مدى تاريخها الاستعماري، يدينها مصالحها فقط، وبعقلية العريضة والكابووي.. وما مشاركة بريطانيا وفرنسا إلا للتأكيد على أن محور الشر الاستعماري جاهز وحاضر دوماً في وجه أي محاولة لأي تغيير في قواعد النظام الدولي ومعادلاته السياسية.

وهذه الضربة، تعيد التأكيد على أن الصراع في سورية إنما هو صراع دولي على المصالح الحيوية للقوى الكبرى والأطراف الإقليمية.. لا راي للسوريين في كل ما يجري، هم وحدهم من يدفع الثمن؛ فقد ذاقوا الويلات على يد النظام، ليس فقط من خلال البطش والقمع، إنما أيضا

# آراء 13



الموقع الإلكتروني : www.al-ayyam.ps
البريد الإلكتروني : E-mail: info@al-ayyam.ps

العنوان البريدي:

الأيام - ص.ب 1987 رام الله - فلسطين
المقر الرئيسي: 39 شارع الأيام - رام الله
هاتف: 02-2987341/3/4/5، فاكس: 02-2987342

تصدر عن:

شركة مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

رئيس التحرير:

أكرم هنية